حِبر أبيَض
WHITE INK

أ.د. حياة الرشيدي

مدحت باشا الماسوني وحلم تأسيس دولة علمانية تركية قبل الاتاتورك :

ولد مدحت باشـــا في أكتوبر 1822م في اســـطنبول ، سياسي عثماني ذو توجه موالي للغرب ، انضم في شـــبابه إلى المحافل الماســـونية السرية التي أسســـها اليهود في الدولة العثمانية ، ومكَّنه هذا الانضمام من أن يلتحق بالســـلك السياسي وزيارة العواصم الكبرى في أوروبا .

عمل في ديوان في الباب العالي ، ووصل مدحت باشا إلى اعلى المراتب منها باشوية ســـوريا والعراق ومنصب اصدر الاعظم - رئاســـة الوزراء - الذي يعتبر أكبر الرتب في السلطنة العثمانية. فتم تعيينه صدرا اعظم عام 1872م.

ووســـط الأزمات الاقتصادية للدولة العثمانية و الهزائم العســـكرية امام روســـيا ، اســـتطاع مدحت باشـــا بشـــكل وآخر من عزل الســـلطان عبد العزيز، ثم تم قتله عام 1876 م وانتشـــر أن مدحت باشا هو البطل العظيم حامل لواء الاصلاح والحرية في الدولة العثمانية ، و تبنى مدحت باشـــا فكرة الإصلاح على الطريقة الأوروبية ولقب بـ "أبي الدستور" و"أبي الأحرار" حيث سعى إلى إعلان القانون الأساسي وظهور البرلمان العثماني عام 1876م.

وكان مدحـــت باشـــا يرى ان التخلص مـــن الدولة العثمانية لا يتم بـــاعلان القانون الاساســـي الموجود في انكلترا كما كان يحلم ان يؤسس جمهورية تركية يكون هو اول رئيس لها .

وفي عهد السلطان عبد الحميد تمكن الصدر الاعظم مدحت باشا من وضع مشروع الدســـتور الذي استوحى من الدســـتور البلجيكي تحت اسم قانون أساســـي فأصبح الدستور البلجيكي المعدل دستورًا للدولة الإسلامية العثمانية.

لقد نص على الاعتراف بالحرية الشـــخصية واعتبـــار الاسلام دين الدولة بعد أن كان الاسلام هو دســـتور الدولة فأصبح يراعى في الأعياد والمناســـبات وما شابهها ، لكن السلطان عبد الحميد رفض تطبيق ذلك الدســـتور لانه يتعارض مـــع الاسلام ، وأخذ بدهاء يبطش بمن يدعو للاعتماد على دول الغرب أو يطالب بتـــرك الاسلام كما أخذ بتدعيم مركز الخلافة وتقوية الجامعة الاسلامية.

لذلـــك تمت محاكمة مدحت باشـــا بأمر من الســـلطان عبد الحميـــد الثاني بتهمة الضلوع في اغتيال عمه السلطان عبد العزيز وحكم عليه بالإعدام إلا إن الحكم خفف إلى المؤبد ونفي إلى الطائف حيث مات فيها مخنوقا في ظروف غامضة عام 1884م.

وذلـــك يعني ان ســـبب اصدار قرار الإعـــدام وتعديله للنفي ، لم يكن بســـبب تغيير الدستور الى قوانين أوروبية بدلاً عن الإسلامية !!!؟؟؟

ماهي تلك الظروف الغامضة التي يُحجم بعض المؤرخين الإفصاح عنها ؟

خلاصة القول :

قَبِل مدحت التعديل في الدستور والإصلاحات ، رغبة في سرعة العمل ، ولأن التعديل المشـــار إليه يتعلق بالولايات، ولم يخطر بباله أنه سيجري عليه هو نفسه ، لأنه كان قد احتاط لهـــذا الأمر بالمـــواد ٣١ و٣٢ و٣٣ وفحواها أن الوكلاء أو الوزراء لا يُعزلـــون إلا بعد المحاكمة بالمجالس، وتساهله فيها كانت علة وسبب نفيه.

لقد كان السلاطين يقربون الخونة ، ومن ثم يتخلصون منهم ، مثلما فعل السلطان ســـليم بعد اجتياح مصر والشـــام ، تعيين خاير بك على مصر ، وكانت نهايته محتومة بغض النظر عن أفعاله .

السؤال فلماذا التقريب والاستفادة السياسية منهم وغير ذلك ثم التخلص ؟

ويبقـــى التخلص مـــن الخونة في نظر السلاطين أســـلوب للســـيطرة وبث الرعب والمحافظة على هيبتهم ، ومع كل ذلك لم يســـلم عدد من السلاطين والأمراء وخاصتهم من القتل والايداع في السجون والنفي .

.